بسم الله الرحمن الرحيم - مكة المباركة - ١٤٢٥/٤/١٨

(والدي عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين رحمه الله)

ولد عام ١٣٠٦ وتوفي عام ١٣٨٦، وكان يقيم مع جدي عبد العزيز رحمه الله في الوقف إحدى قريتي القراين على بعد أربعة أكيال ونصف من شقراء حين كان جدي رحمه الله إمام مسجد الوقف، ولا يفصل بين الوقف وغسلة غير وادي الصنيري لا يتجاوز عرضه عشرة أمتار فيما أذكر (وذاكرتي ضعيفة في الحساب)، ولكم لا تسلم القرى من الخلاف.

ورُوي أن أهل غسلة كانوا يصلون الجمعة في شقراء حتى يُحرم مسجد الوقف من العدد المطلوب لصلاة الجمعة في الفقه الحنبلي.

ورُوي أن خطيب مسجد الوقف كان إذا دعا: (وعن بلدنا هذا خاصة) أشار إلى الوقف وحدها حتى لا يشمل الدعاء غسلة.

وربما تجاوز الخلاف لهذه الأسطورة، فرأى جدي رحمه الله أن يسري بأهله بقطع من الليل خشية أن يثني الناس عزمه عن الانتقال بأهله إلى شقراء عاصمة منطقة الوشم، ولم يقدر بطنا بالقراين غير نخل نستفيد منه الرطب كل عام، يتولى تزويدنا به الشيخ عبد الله بن محمد السالم أسكنه الله الفردوس من الجنة؛ كان يحمله في صفيحة فوق رأسه إذا لم تتيسر له دابة يحمله عليها، وحرصاً من والدي رحمه الله على إكرامه كان أول من يُقدم له الرطب، وحرصاً من ابن سالم على المكافأة كان لا يأكل إلا النقادة (الرطبة التي أكل منها الطير) أو الردي، من الرطب، وعندما وُلد له ولد أوصى بأن يقوم ولده بنقل الرطب لنا بعد موته، ولكن ابنه أتم دراسته الشرعية وعُين قاضياً وتوفاه الله مبكراً في حادث بسيارته،

رحمهما الله تعالى وحفظ من بقي من أهلهما.

ب- لم أعرف جدّي رحمه الله ولا اثنين من أعمامي (عبد الله ومحمد) رحمهما الله (وكان الجميع يسكنون منزلاً واحداً في شقراء مبنيّاً بالطين مثل كلّ البيوت منذ نحو سبعين سنة. وكلّ عائلة تسكن غرفة واحدة: الأم والأب وأولادهما)، ولكني فرحت بمعرفة ما تميّز به جدّي رحمه الله من حُسْن الخُلق أسكنه الله الفردوس من جنّته. أمّا والدي وعمّي (عمر) رحمهما الله فقد سعدت بالعيش معهما في بيت شقراء بضع عشرة سنة حتى انتقلتُ إلى الطّائف ثم مكّة للدّراسة من أوّل صفوف الدّراسة المتوسطة حتى آخر سنوات كليّة الشّريعة، ثم إلى مصر للدّراسة العليا حتى عام ١٣٨٠، وفي العام نفسه انتقل الوالد ببقيّة الأهل إلى المدينة النّبويّة وعاش فيها بقيّة حياته ومات قائماً على باب المسجد النّبوي لصلاة العصر رحمه الله ودُفن بالبقيع.

وعُرف والدي رحمه في شقراء بأمرين: الاحتساب للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وخدمة المحتاج إلى خدمته؛ كان عدد من يقرأون ويكتبون قليلاً، وعدد من يخدم الأمّيين بما علّمه الله لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وكان الوالد رحمه الله أبرزهم (كما أشار العلامة أبو عبد الرحمن ابن عقيل في جريدة الجزيرة (العدد/١٤٨٣٩ في ١٤٣٤/٧/٥ بعنوان: بل أورد ترجمة ياسر) ومما قاله عفا الله عنه: (آل الحصيّن شجرة وارفة الظّلال شريفة الثمار، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الحصيّن وذرّيته، جعل الله كلّ الخير ذرّيّاً في أعقابهم، وقد أدركته [يعني: الوالد عبد الرحمن] رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بشقراء، وله ثلاث ميزات لم أجدها مجتمعة عند غيره:

أولاها: الاجتهاد في العبادة، وثانية: القيام بالاحتساب؛ فهو يفتح

دكاناً للتجارة، بل ليكتب التوثيقات الجديدة وينسخ القديمة [للناس] مجاناً، وبالشرط: ذكاء ودهاء خارق يُلجمه ورَعٌ).

لم أدرك تميّز والدي رحمه الله بالذكاء والدهاء (كما ذكر العلامة ابن عقيل جزاه الله الفردوس من الجنة)، ولكن أهل شقراء يذكرون مُلحَ الشقاري (لما) جامع عضيف فيما بعد): كان شقراوي يصيد الذئاب وينقارها (ميتة غالباً) إلى بيته في شقراء ليراها الأطفال بأجرة زهيدة، وفي إحدى المرات رأى الشقاري رحمه الله جمعاً من الأطفال متجهين إلى بيت صياد الذئاب رحمه الله، فقال لهم: لا تحتاجون إلى رؤية ذئب ميّت بأجر، تعالوا أريكم ذئباً حيّاً بدون أجر، فقادهم إلى دكان الوالد، والذئب يُضرب مثلاً للذكاء في شقراء، رحمهم الله صاحب حديقة الحيوان ورحيم. وعُرف والدي رحمه الله في شقراء بخدمة المحتاجين، وكان بين منزلنا ودكان الوالد بيت يسمّى: (بيت الغرباء) يتولّى الوالد رحمه الله بكل الغرباء الطعام فيه كما يتولى إطعام جائعهم وتكفين ميّتهم وتشييع جنازته ودفع أجرة حفّار القبور، ولا أظنّ فوّت تشييع ميّت صغير أو كبير، غنيّ أو فقير، معروف أو مجهول.

وربما كان أكثر الغرباء من حجّاج العجم (على أقدامهم) من إيران والقارّة الهندية، وأكثرهم لا يتكلم اللغة العربية، سمع شقراوي أحدهم يردّد ما ظنّه: (علي شال المراد) لا يقول غيرها، فقال: يا ناس قولوا العليّ القدير يعطيه مُراده [حصره]، وهو غالباً يدعو عليّاً رضي الله عنه من دون الله تعالى بنحو: (يا علي شي لله، مدد) ليُقرّبه إلى الله عزّ وجلّ.

وعُرف والدي رحمه الله بالرغبة في طلب العلم، فلم يفوّت واحدة من

حِلَق العلم التي كان يتطوّع برها أكثر قضاة وشعراء في المسجد الجامع في
صباح كلّ يوم (وربما كان الوالد رحمه الله مساوياً لبعضهم في العلم) وقد
طلب الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله للقضاء، فأرسل أخي عبد الله رحمه الله
على بعير إلى الرياض (مسيرة خمسة أيام فأكثر) لينقذه الله من القضاء.
وكان لا يفوّت مادون ذلك من حِلَق العلم: القراءة في رياض
الصالحين بعد صلاة العصر كلّ يوم، وتلقين جواب أسئلة القبر:
(من ربك وما دينك ومن نبيّك؟) فالجلوس في الحلقة عبادة صحيحة.
وكانت مكتبته أوّل ما رأينا من المكتبات وكتب العلوم الشرعيّة، أذكر
منها: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيّم رحمه الله، وتفسير ابن جزيّ
رحمه الله (مطبوع على الحجر في الهند)، وأعاره الأخ صالح رحمه الله لأحد
زملائه في المدرسة الابتدائية، وهو حيّ كريم صار فيما بعد من كبار العلماء
فأعاد شيئاً منه وهو يكاد يذوب خجلاً فقد أكلت البقرة ما كُتب له
منه، ولهوّن عليه الأخ صالح رحمه الله الأمر، ولكنّه قال لي: الله يهديه
أعرناه الكتاب ليستفيد منه لا ليستفيد منه البقرة، عفا الله عنه.
وكان في مكتبة الوالد نسخة من البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله وانشغل
به الأخ صالح يتدارسها مع أحد زملائه (أذكر صورته وليست متأكداً من
اسمه) فنهاه الوالد عن ذلك فالعلم الشرعي لا يؤخذ من التواريخ والسِّيَر.
وكان في مكتبة الوالد رحمه الله بعض المخطوطات، وقد أهديناها المكتبة
الملك عبد العزيز في المدينة النبويّة لاهتمام المكتبات بالمخطوطات
أمّا نحن فلم نُصب بشيء - فضلاً من الله ونعمة - بحمّى المخطوطات، بل
كتبتُ وزُرتُ د. يحيى الجنيد السّاعاتي الذي تولى الإشراف على

مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض أُحيِّذه من الانزلاق في فوضى جمع المخطوطات دون تمحيص، فقد كَمُلَ الدين بدوزخ، والمطبوع خير من المخطوط وأيسر للباحثين وهم القائل (لا أقول النخبة)، وأكثر ما لم يُعرف أو يُحفظ أو يُطبع فهو صوفي أو فلسفي أو عَبَثِيّ، وقبل أن أبارح مكتبه دخل اثنان من الباحثين المحترفين لا يظهر عليهما أثر التديّن، أرسلتهما المكتبة للبحث عن المخطوطات في الخارج، فقالا جوابا على سؤاله: وجدنا كثيرا من المخطوطات كلّها صوفيّة.

ولعلّ من مخطوطات مكتبة الوالد أحد أجزاء صحيح البخاري ذكره جدّنا العمّ عبد العزيز بن عبد الله الحصين رحمه الله في وصيّته، وهو من كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان أوّل وثاني رسول للدعوة والدولة السعودية الأولى الأشراف في مكة لمناظرة علمائها في مسائل الاعتقاد (هدم أوثان الأضرحة بخاصّتي)، الأولى عام ١١٨٥هـ ذكرها العلامة ابن غنام في تاريخه، والثانية عام ١٢٠٤هـ ذكرها ابن غنّام وذكرها العلّامة ابن بشر في تاريخه رحمهما الله، وأخذ عنه العلم أخوه العمّ محمد بن عبد الله الحصين رحمهما الله وكلاهما ولي القضاء في عهد ثلاثة من أئمة آل سعود رحمهم الله جميعا.

ومما يُضيّع فيه نعمة الله بالمال: ما يُسمّى بالآثار الإسلاميّة: ورقة من المصحف مكتوبة على جلد غزال - بزعمهم - تباع بمئات الألوف وهي لا تكاد تقرأ، وكانت سنّة القدوة من الصحابة حَرْق أو دَفْن ما لا يصلح للقراءة من أوراق المصحف المخطوطة كما فعل عثمان رضي الله عنه بصاحف الصحابة رضي الله عنهم يوم جمع القرآن.

ومن الإسراف الشنيع شراء الكتب والمقتنيات الأثرية الموصوفة زوراً بالإسلامية، تقليداً لأثرياء العالم في تنافسهم على النوادر لمجرد ندرتها.

وكان أكثر تجارة والدي الدنيوية مع البادية بالبيع الى أجل، ثم يقوم محمد عمر وأخي عبدالله رحمهما الله بمال حقهم للسداد عند صرف مرتباتهم السنوية من بيت المال، ويلقون عنتاً من تلاحقهم وتحايلهم، عفا الله عنا وعنهم.

وكان أكبرهم فيما أرى: الدين والدعوة إليه، وقد ورثه في الحرص على إنكار المنكر أخي ابراهيم رحمه الله وابنه عبدالله بن ابراهيم وقد لقيهم أكثر محمد عمر قهم من الأهل، وكاد الوالد والأخ ابراهيم رحمهما الله يفقدان حياتهما في سبيل ذلك، فقد انتقم بعض أبناء البادية لهدم الهما لله من المنتسبين للمدرسة العسكرية من إلزامهم بالصلاة في المسجد وحبسهم على تفريطهم في ذلك، بأن كمنوا للوالد والأخ في طريقهما الى درس ديني في منزل الشيخ عبدالله أبو بطين حفيد العلامة عبدالرحمن أبو بطين رحمهم الله جميعاً ومعهم قطع من الحديد (ريش سيخ سيارات) وكان الظلام دامساً، وكاد والدي يتقي الضرب على رأسه بمرفقه خوص (مروحة يدوية)، ولم يكن مع أخي ما يقي به رأسه، وكان أضعف جسماً من الوالد رحمهما الله، كان وزنه (٣٨) كيلاً، أما الوالد فاستطاع المشي إلى البيت، وأما الأخ ابراهيم فحمل الى البيت بين الحياة والموت.

وكان الأخ صالح رحمه الله في الرياض يستعد للسفر الى مصر عام ١٣٧٧، فلما علم بالحادثة ذهب للشيخ عمر بن حسن رئيس الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر في المنطقة الوسطى من المملكة المباركة، فنقل الشيخ الخبر للملك
سعود رحمه الله فأرسل عدّة أطباء في طائرة خاصّة، وكان الطيران
جديداً على المنطقة فلم يهتدوا إلى مطار شعراء التّرابي الصّغير،
وعادت الطّائرة إلى الرّياض، فطلب الأخ صالح سيارة من والدة
عبد الرحمن السّبيعي رحمها الله إذ لا توجد سيارات أجرة في ذلك الوقت
وقدم الأخ صالح بمجموعة الأطباء وأبرزهم د. الشافعي من مصر، وفي
الطريق قدّم لهم الطعام ولكنّه نسي شراء أوعية للطعام مع الطعام فقام
السّائق (وهو من رقيق السّبيعي) بفكّ أغطية عجلات السّيارة
وغسلها وقدّم فيها الطعام، ولما حاول الأطباء خياطة جراح الوالد
تبيّن أنّهم نسوا ما هو أهمّ من أوعية الطعام: البنج (المخدّر)، فكان
الوالد رحمه الله (مع قوة تحمّله وصبره) يردّد: رفقاً بالشيخ الضعيف
والأخ ابراهيم يكاد يطير فرقاً: إذا كان هذا حال الوالد فكيف بي؟ ولكنّ
الله أعانهما فتحمّلا نتيجة الإهمال المزري، وعادت الطائرة فحملتهما
ونحن معهما إلى مستشفى الشميسي بالرّياض، وخُصّص لكلٍّ منهما
جناح كبير أقمنا فيه جميعاً قريباً من ثلاثة أشهر للعلاج وكان المتبرّعون
محبوسون في انتظار شفائهما وحضورهما المحاكمة، وكان القاضي لطو
الشيخ سليمان العبيد رحمه الله، وبعد جلوسهم دقائق قام الوالد
القاضي بعفوه عنهما، عوّض الله الوالد والأخ عن حقّهما بالفردوس.
وكان الوالد يأمرنا منذ الصّغر بالصّلاة في المسجد ولكنه لم يحتج إلى ضربنا
عليها، وكان الطريق اليها في البيت وخارجه مظلماً وموحشاً وكان
يخيّل لي رؤية حيوانات لم أرها من قبل ولكن الله حفظنا بمنّه وكرمه.

وطالما كان كثير من الأهل سبقوا إلى الإقامة في المدينة النبويّة فقد ألحّوا على الوالد بالانتقال إليها، ثم عيّن الأخ إبراهيم رحمه الله مديراً للامتحانات بالجامعة الإسلاميّة بطلب من الشيخ ابن باز (رئيسها) رحمه الله، فقوي عزم الوالد رحمه الله على الانتقال عام ١٣٨٠، والأخ إبراهيم رحمه الله خير من خدم الوالد رحمه الله في شعراء، ولم يفارقه منذ عرفت نفسي وعرفتها وما كان للوالد رحمه الله أن يحول بين إبراهيم رحمه الله ووظيفته التي ما كان يحلم بها، وأهمّ من ذلك ما كان للوالد رحمه الله أن يحرمه من خدمة الشيخ ابن باز رحمه الله وبالتالي: خدمة الإسلام والمسلمين تطوّعاً في المدينة النبويّة، ثم انتداباً إلى أيّ مكان يذهب إليه الشيخ رحمه الله، واستمرّت خدمته للشيخ ابن باز أربع سنوات في المدينة وربع قرن في الرياض، ونحسبها من نِعَم الله العظيمة عليه وعلينا جميعاً.

وأضيف والدي رحمه الله بأنّه كان كتاب رياض الصالحين يمشي على الأرض في دينه وخُلُقه وحكمته بميزان الابن الذي لا يُشبه تحيّزه، ولكن أثنى عليه قبلي الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل والشيخ ابن باز والشيخ عبد الله البسّام والشيخ د. محمد الشويعر وغيرهم، جمعهم الله جميعاً في الفردوس من الجنّة.

لم أسمع والدي مرّة واحدة يضحك أو يقهقه أو يرفع صوته لأيّ سبب، ولا أعرف أنّه ضرب أحداً من أولاده إلا نادراً وكسبب موجب، وكانت وسيلته الغالبة للتربية: الدعوة والدعاء.

وكان يمشي الهوينا فلا تسمع لخطواته صوتاً، بل لا تحسّ بقربه منك إلا بقراءة القرآن بين الجهر والمخافتة كما أمر الله نبيّه

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنّته وسلم: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً، وقد أتمّ الله عليه بحفظ القرآن وتلاوته عن ظهر قلب نحو سبعين سنة، ولا يرجع إلى مصحف إلا قليلاً، يقرأ وهو يمشي وقائماً وقاعداً وعلى جنبه، وعندما تفرّغ للعبادة في المدينة النبويّة في الستّ سنوات الأخيرة من حياته صار يختم القرآن كلّ ثلاثة أيام، لا أقلّ من ذلك لنزهيه صلى الله عليه وسلم عن الأقل.

وكان قلبه منذ عرفته معلقاً بالمسجد، وفي المدينة النبويّة كان عبد العزيز بن صالح رحمه الله (إمام المسجد النبويّ) يراه كلّ يوم خلف في صلاة الفريضة إلا مرّة واحدة في حياته حين توفّاه الله على باب المسجد الذي أحبّه في الله تعالى وفي رسوله صلى الله عليه وسلم. وكان يمشي يوم السبت من كلّ أسبوع على قدميه إلى مسجد قباء ويعود راكباً تأوّلاً لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وآخرها يوم السبت في الأسبوع الذي توفّاه الله في آخره.

وكان إذا ازدحم المسجد النبويّ بالحجّاج أو المعتمرين زوّار المسجد يصلّي في غرفة في الطرف الغربي من المسجد تخصّص للكبار الضيوف، وكان مرّة يصلّي في هذه الغرفة وبجانبه أبو بكر باليوه رئيس وزراء الاتّحاد النيجيري رحمه الله فأعجبه انصرافه للعبادة فوضع مائة ريال تحت مصلاّه ولما انصرف والدي من صلاته أعادها إليه ودعا له وقال بالإشارة: إنّ الله قد رزقه أكثر من حاجته، وعاد إلى صلاته فوضع أبو بكر رحمه الله مائة وخمسين تحت مصلاّه وانصرف، ولعلّ أبو بكر

ظنّ أنّ والدي في حاجة لما رأى من زهده في المظهر فقد كانت والدتي تخيط ثوبه حتى توفّاه الله، وعلى هذا مات ابن باز والأخ إبراهيم رحمهما الله، فلم يدخل أحد منهم دكان خياط أبداً، ولم أفعل ذلك تأسّياً بهم ولم أدخل دكان حلّاق منذ (٤٥) سنة، أمّا الثياب فتخاط في الصّين تسخيراً من الله ويتراوح ثمن الثوب بين (١٠ و١٤) ريال، وأحلق نفسي ومن رغب من أهلي، ولا يزال محمد جموم زميل الدّراسة في لوس انجلس يصرّ فني بأنّي الزّميل الذي يحلق نفسه وأولاده (قرعه) يوم كانت (القرعة) مستنكرة لهنالك.

ولهدوء والدي رحمه الله في مشيه ولفظه أوقع الأخ صالح رحمه الله مرّة في الحرج، وكان يستحيي من الوالد رحمه الله ولا يكاد يتكلم في حضوره كما يفعل آل سعود أعزّهم الله: لا يتكلّم ولا يتقدّم أحدهم بين يدي من هو أكبر سنّاً ولو بيوم أو يومين.

(في ساعة تجلّي كما يقول الصّوفيّة كفى الله الإسلام والمسلمين شرّهم) كان الأخ صالح رحمه الله يتفقّد نفسه في المرآة فقال: (الحمد لله عنقي كأنه عنق تكروني) ولم يحسّ بدخول الوالد تلك اللحظة فسلّم الوالد وقال: (تنغبط)، ولعلّ صالح رحمه الله قضى شهراً لا يتكلّم حياءً وخجلا.

لم أكتب عن أحد من أهلي خشية المحاباة، ولكن الشيخ د. محمد الضريح وابن أخي إبراهيم: إسحق والشيخ عبد الرحمن عيروض (أبو الزّبير) طلبوا منّي لهذه الأسطر عن الوالد رحمه الله، وطلب ابن أخي صالح كتابة أسطر عن والده رحمه الله فعلت، جزاهم الله خير الجزاء.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته ﷺ